الذكرانيّات في تقليد الكنيسة الأرثوذكسيّة بين السبت والأحد

الأب أنطوان ملكي

إنّ البحث في ما تسلّمناه من آبائنا من أقوالٍ وعظاتٍ وتعاليم وقوانين وكتاباتٍ وتيبيكون وغيرها، يُظهِر أنّ الإشارات كثيرة إلى عدم جواز إقامة الذكرانيّات (Panichida, Parastas, Lite, Trisagion) في الآحاد ونقلِها إلى السبوت، فيما لا توجد أيّة إشارةٍ إلى جواز إقامتها يوم الأحد.

لماذا هذا التمييز بين السبت والأحد؟ لأنّ الفرق بينهما كبيرٌ في كنيستنا. ففي يوم السبت العظيم، كانت نفسُ الربّ حاضرةً في الجحيم، ساحقةً ايّاه وحالّةً قيود المعتقَلين، كما يظهر في خدمة هذا اليوم وفي شروحات الآباء، بخاصّةٍ رسالة القدّيس يوحنّا الدمشقيّ الإلهيّ المتعلّقة بالصوم المقدّس. لهذا، تُخصّص الكنيسة يوم السبتَ للذكرانيّات. أمّا الأحد، فهو يوم قيامة الربّ التي تشير مسبقًا إلى قيامة جميع المؤمنين. هو يوم عمل الابن أي القيامة، كما هو يوم عمل الروح القدس أي العنصرة. عليه، يوم الأحد هو مجموعة تذكاراتٍ لأفراحٍ عديدة؛ لهذا أوصَت القوانين المقدّسة، احترامًا لهذه الأفراح واشتراكًا فيها، بألّا تُقام ذكرانيّاتٌ يوم الأحد، ولا في أعياد الربّ ووالدة الإله، لأنّ الآحاد والأعياد هي أيّامٌ مبهجة، بعكس الذكرانيّات المُحزنة بطابعها.

من جهةٍ أخرى، يرى الآباء أنّ الأحد هو أيقونة الدهر الآتي. فالمجيء الثاني للربّ سوف يكون يوم أحد، كما يقول القديس مكسيموس المتوشّح بالله: "ظهور الربّ سيكون في اليوم الثامن الذي هو يوم أحد". والقيامة العامّة للراقدين ستحدث في يوم أحد، كما يُعلّم القدّيس غريغوريوس التسالونيكي: "إنّ الأحد مهيبٌ ومكرَّسٌ إلى درجةٍ فائقةٍ لأنّ الآخرة الفائقة البركة وقيامة الجميع العامّة المرجوّة ستحدث يوم أحد". وبحسب القدّيس نفسه، في يوم أحدٍ سوف يدخل الأبرار في الراحة التامّة، أي الحياة السرمديّة والثابتة.

قد لا يكون هذا الكلام مُقنِعًا لكثيرين، بخاصّةٍ "العقلانيّين" منهم. لهذا، نوردِ عددًا من الحقائق التي تُظهِرُ أنّ العالم الأرثوذكسيّ بغالبيّته لا يعرف ذكرانيّات الأحد. أمّا في أنطاكية التي قد تكون الوحيدة

التي تتبنّى هذه الممارسة بشكلٍ رسميّ، فنعرف أنّ هذه الممارسة طرأت على التقليد بعد بدايات القرن الماضي، وليس قبلاً.

- أهمّ مَن جَمعَ تعاليم الآباء هو القدّيس نيقوديموس الآثوسيّ. فهو جمعَ الفيلوكاليا التي غيّرت العالم ولا تزال، وجمعَ أيضًا في كتاب "اعتراف إيمان"[1] تعاليم القدّيسين حول أمورٍ محدّدة. في موضوع الذكرانيّات، أورد تعاليم قدّيسين على رأسهم يوحنّا الذهبيّ الفم، وباسيليوس الكبير، ويوحنّا الدمشقيّ، مُظهرًا الفرق بين السبت والأحد، وموضحًا سبب عدم سماح الكنيسة بالذكرانيّات في أيّام الآحاد. فهذا القدّيس كان من الكوليفيّين الذين رفضوا ذكرانيّات الأحد.
- يحدّد تيبيكون القدّيس سابا الصربيّ الشهير المعروف بِـ"كتاب الربّان" (Kormchaja Knjiga)، في القانون 169 منه، أن تُقام الذكرانيّات يوم السبت[2]. وقد تبنّت بلغاريا ورومانيا وروسيا هذا القانون، وما زالت تتبنّاه إلى اليوم. فهي إلى اليوم لا تسمح بالذكرانيّات في أيّام الآحاد، بل تُقام إمّا في نهاية القدّاس يوم السبت، أو في الساعة التاسعة غروب الأحد (السبت مساءً).
- يذكر تيبيكون الجبل المقدّس[3] أنّه إذا وقع تذكار مؤسّس الدير أو رئيسٍ سابقٍ له يوم أحد، تُقامُ له الذكرانيّة مع الكوليفا بعد الساعة التاسعة من يوم السبت. وبعدها تُوزَّع الكوليفا على الإخوة، ثمّ تبدأ صلاة المساء (الغروب) ليوم الأحد. وإذا أُقيمَت سهرانيّة يوم الأحد، يجب عندها الاحتفال بالليتين كي لا يُذكر الأموات.
- يرِدُ في دليل الكهنة في كنائس روسيا وبلغاريا والكنيسة الأرثوذكسيّة في أميركا (OCA) وصربيا، أنّ الذكرانيّات لا تُقام في أعياد السيّد أو السيّدة أو في أيّ أحد، حتّى إنّ الكنيسة الروسيّة خارج روسيا لا تقيم صلاة الدفن يوم الأحد، بل يُترَك الميتُ إلى نهار الإثنين[4].
- منذ زمن القدّيس صوفرونيوس بطريرك كنيسة أورشليم، حدّدت هذه الكنيسة أن تُقام الذكرانيّات أيّام السبوت لا أيّام الآحاد.

[1] Αγιος Νικοδημος Ο Αγιορειτης. Ομολογια Πιστεως. Συνοδια Σπυριδωνοσ Ιερομοναχου, Νεα Σκητη Αγιου Ορουσ. Δεκέμβριος 2010. Manuscript not published. Hamatoura Monastery.

[2] نسخ القديس سابا هذا الكتاب في أثناء وجوده في اليونان، عن قانون القديس فوتيوس الكبير المعروف بِـ"الدفة (το Πηδάλιο)" أو النوموكانون. Link: Saint Savva I, first Archbishop of Serbia - oca.org

[3] TA ΜΝΗΜΟΣΥΝΑ. Link: TA ΜΝΗΜΟΣΥΝΑ - agiooros.net

[4] Cross & Livingstone, eds. (2005). *The Oxford Dictionary of the Christian Church*. Oxford University Press.

✢ يورِد القدّيس نيقوديموس الآثوسيّ في اعتراف إيمانه، أنّه إذا وقع تذكار إمبراطور يوم أحد، يُنقَلُ إلى يوم السبت وتُقام الذكرانيّة في الساعة التاسعة[1].

ما الهدف من هذا البحث؟ هدفه توعية مَن لا يعرِف، وتحريك ضمير الجميع إلى واقع الذكرانيّات التي تحوّلت في بلادنا إلى مجرّد حدثٍ اجتماعيّ في الغالبيّة المطلقة من الحالات. فأهل الراقد تقوم حساباتهم أوّلاً على مَن يحضر ومَن يغيب، وعلى "لقمة الرحمة" التي تتبع القدّاس، لكونها المناسبة المؤاتية لإظهار الغنى والكرَم و"إكرام الفقيد". هذه الخفّة الإيمانيّة تنتج منها استباحة الكأس المقدّسة، حيث يتقدّم إلى المناولة المستعدّ وغير المستعدّ، الأرثوذكسيّ وغير الأرثوذكسيّ. حتّى إنّ بعض غير المسيحيّين يتقدّمون لأنّ الواجب يقتضي ذلك، ومن المُعيب اجتماعيًّا، بنظرهم، ألاّ يشتركوا "عن روح الميت". فتصير المناولة ضيافة.

هذا نداءٌ إلى الأرثوذكسيّين الذين يعرفون أنّ الأرثوذكسيّة هي الإيمان المستقيم والممارسة المستقيمة، حيث لا ينفصل الإيمان عن الممارسة. فلكي تكون ممارستنا "بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ"، علينا أن نحفظها "لا دنس فيها ولا وسخ، بل منزّهة عن كلّ عيب".

هذا نداءٌ إلى الشعب المؤمن، لكي يتذكّر أنّ اللياقة والترتيب هما اللذان يحملان صلاته كالبخور أمام الربّ.

هذا نداءٌ إلى الكهنة الذين تسلّموا الحمَل، كي يكونوا أمناء عليه لأنّه يُطلَبُ منهم في يوم الدينونة.

هذا نداءٌ إلى الأساقفة حاملي النعمة التي تُكمِّلُ كلّ ضعف، والمُطالَبين بأن يقطعوا باستقامةٍ كلمة الحقّ.

يقول القدّيس نيقوديموس الآثوسيّ الذي اضطُهِدَ بسبب رفضه للذكرانيّات يوم الأحد: "تُقامُ الذكرانيّة أيّام الآحاد في بعض الأماكن نتيجةً للجهل، أو طلبًا للمنفعة المادّيّة، أو إرضاءً للبشر أو الذات". لم يعد لائقًا الكلام على الجهل في القرن الحادي والعشرين، ولم يعد الجهل مسموحًا. يبقى على الكنيسة، بجميع مكوّناتها، أن تكون شاهدةً في تعاطيها مع المادّة ومع الناس، بخاصّةٍ أولئك الذين يطلبون إرضاء ذواتهم.